سينما

صانع مرايا ذاتٍ وبيئة واجتماع

خيري بشارة مُكرّماً في «مالمو»

في «مهرجان مالمو للسينما العربية 14»، يُكرَّم المخرج المصري خيري بشارة، الذي يترأس لجنة تحكيم مسابقة أفلامه الروائية الطويلة أيضاً

نديم جرجوره

أنْ يُكرَّم خيري بشارة مراراً، في فترات غير متباعدة كثيراً، يعني أنّ حضورَ السينمائي المصري في المشهد العربي فاعلٌ، رغم قلّة اشتغالاته السينمائية، وغير السينمائية، في الأعوام القليلة الفائتة. فخيري بشارة (30 يونيو/ حزيران 1947) مؤثّر في مسار السينما المصرية أولاً، وتأثيرات نتاجات عدّة له ماثلةٌ في السينما العربية أيضاً، بفضل أفلامٍ له، كـ«العوّامة رقم 70» (1982) و«الطوق والإسورة» (1986) و«يوم مرّ يوم حلو» (1988)، من دون تناسي تنويعات أخرى، تعاين وقائع وحالات وانفعالات، بلغةٍ تصبو إلى كشف مستور في ذاتٍ فردية أساساً، كما في بيئة اجتماعية ومكانية، كـ«حرب الفراولة» (1993) و«إشارة مرور» (1994).

تعداد أفلامه، وبينها وثائقيّات، غير نافع في مقالة، تبغي تحيةً لمخرج. له رواية أولى بعنوان «الكبرياء الصيني» («دار الشروق»، القاهرة، الطبعة الأولى، 2023). بمناسبة تكريمه في الدورة 14 (22 ـ 28 إبريل/نيسان 2024) لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية»، بعد إهداء الدورة 13 (9 ـ 15 فبراير/شباط 2024) لـ«مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية» إليه. تحيةٌ متنبّهة إلى سماتٍ تشترك أفلامٌ عدّة له بها: انغماسٌ في بنى نفسية وروحية واجتماعية لفردٍ ولجماعة، ولعلاقاتٍ بينهما؛ دفعُ فردٍ إلى بوحٍ منبثق من انفعالٍ، متأتٍّ غالباً من انكسار وقهر وشقاء، من دون فقدان رغبة عيش، ومعاينة تحدّيات؛ إيجاد معنى للصورة في مقاربة تشقّقات حاصلة في نَفْس فردٍ وروحه واجتماعه، بجعل الصورة مرآة، حادّة (غالباً) في تعريتها، لكنْ من دون تناسي البُعد السينمائي الأساسي في كيفية التعرية، وقاسية في فضحها مخبّأ (أو أكثر) في لا وعي أحياناً، من دون أدنى تلميح إلى إدانة أو حُكم، لانشغال أعمق وأهمّ وأجمل بتفاصيل تصنع الفرد وبنيانه، وتروي شيئاً من علاقاته (المرتبكة إجمالاً) بمحيطٍ، إنْ يكن المحيطُ فرداً أو جماعة، وإنْ تكن العلاقة حبّاً أو صداقةً أو أهلاً، أو ارتباطاتٍ أخرى. في نصٍّ، له وعنه، منشور في صفحته الفيسبوكية في 19 يناير/كانون الثاني 2024، يبوح خيري بشارة بمسائل ومشاعر مرتبطة بسيرته ومهنته ومدينته وبلده. في النصّ (المكتوب

خيري بشارة: كاشف مُختبَرٍ في ذاتٍ وبيئة (تيم بي. وايتبي/Getty)

> صانع معنى للصورة في مقاربة تشقّقات نَفْس وروح واجتماع

بمزيج أدب واعتراف، وبسلاسةٍ وعمق، وبرغبةٍ في قول ترتبط بإرادة في تأكيدٍ أو تنبيهٍ) ألَمٌ، بقدر ما فيه من طاقةٍ على تحصين كلّ جميل ومفيد في حياته من أي نسيان أو تغييب. نصّ يختزل سيرةً، لكنّه يكشف تفكيراً نابعاً من اختبار ومواجهة، وفيه اشتياق إلى بلدٍ وحياة، دافعه (الاشتياق) قلقُ إزاء راهنٍ مخيف.

هذا منبثقٌ من قراءة شخصية للنصّ، لا من تفسيرٍ له. تماماً كقراءة أول رواية («العربي الجديد»، 10 إبريل/نيسان 2023) يكتبها إمّا بشغف من يحنّ إلى المفقود في الراهن، وإمّا بقلق المرتبك أمام راهنٍ يُراد له تغييب جمال وحيوية وغليان في زمن سابق. قولٌ كهذا غير حائل دون عيش راهنٍ، وإنْ باختلافٍ عن عيش حياة سابقة. روايةٌ تقول تحوّلاتٌ تكاد تكون مدمِّرة، لشدّة سطوتها المؤدّية إلى إلغاء جمال زمن سابق، وحيويته وغليانه. أو ربما تقول إنّ الكلمة مطلوبة، فالصورة السينمائية عاجزةٌ، أقلّه في الفترة الآنيّة، عن أنْ تعكس شيئاً من ذات وتفكير وتأمّل، مع أنّ في الكلمة/الرواية كمّاً رائعاً من السينمائيّ/البصريّ.

روايته الأولى غير جاذبةٍ اهتماماً نقدياً تستحقّه. فيها نَفَسٌ سينمائي، وهذا معتاد في الرواية أصلاً. فيها سردٌ، مبسّطٌ من دون تسطيح وسلس من دون ثرثرة، يكشف تاريخاً مرتبطاً ببلدٍ وعلاقاتٍ تتجاوز المحليّ والإقليمي. فمصر (القاهرة والإسكندرية تحديداً) مساحة تتّسع لثقافاتٍ تتحاور، ولأناس يُقيمون فيها دهوراً، قبل تحوّلات تُصيبها بأعطابٍ قاتلة.

في نصّه الفيسبوكيّ، يكتب خيري بشارة الآتي: «علاقتي الآن بالقاهرة مُعقّدة. تعني كلمة القاهرة الهازمَة بشِدَّة». يستعيد زمناً، فيقول إنّه يمكث في شُبرا بين عامي 1953 و1992: «(شبرا) حيٌّ يتّسم بالتعدّدية، إذْ يعيش المسيحيون والمسلمون فيه جنباً إلى جنب»، قبل أنْ يذكر أنّه شاهدٌ على «الانحدار الثقافي لمصر بدءاً من سياسة «الانفتاح» لأنور السادات، وانتهاءً بالدولة البوليسية الفاسدة لحسني مبارك (...)».

في النصّ الفيسبوكي حنينٌ ورغبةٌ في إخراج شيءٍ من الذاكرة إلى عَلَن. يكتب بشارة أنّه، حين يودّ تجديد علاقته بالمدينة (القاهرة)، يذهب إلى «كافيه ريش» («مقهى ريش، عينٌ على مصر» لميسون صقر، الصادر عن «دار نهضة مصر» عام 2021، أحدث نصٍّ عنه)، ذاك الحيّز الذي يبدأ بمكانٍ ملموس، وينفتح على مسارات ومصائر، وتواريخ وفترات وأناس، وتفكير ونقاش وصدامات. حيّزٌ يؤسّس عام 1908، ويعيش الآن انهياراً تلو آخر: «(كافيه ريش) يحمل ذكرياتي مع زوجتي لدى عودتنا من بولندا، مطلع السبعينيات (الماضية)».

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

«مهرجان مالمو للسينما العربية 14»:

استقطاب أفضل الأفلام وأحدثها إنتاجاً

مالمو ـ **العربي الجديد**

دورة جديدة يُنظّمها «مهرجان مالمو للسينما العربية» في خطوة إضافية باتجاه تفعيل أكبر وأعمق للحضور السينمائي العربي في تلك المدينة السويدية. فالمستشار والمدير الفني للمهرجان، محمد قبلاوي، يجهد في انتقاء بعض أفضل الإنتاج العربي راهناً، موزعاً إياه على مسابقتين اثنتين: الأفلام الطويلة (روائية ووثائقية) والأفلام القصيرة. أما الدورة الجديدة، التي تحمل الرقم 14، فتُقام بين 22 و28 إبريل/نيسان 2024، وتعرض 26 فيلماً (12 فيلماً طويلاً، و14 فيلماً قصيراً)، مُنتجة من 13 دولة عربية، إلى جانب شراكات إنتاجية مع 10 دول أجنبية. العناوين المختارة، أقلّه في مسابقة الأفلام الطويلة، تضمّ نتاجاتٍ لها حضور فاعل ولافت للانتباه في دورات العام الفائت لمهرجانات دولية مختلفة، كـ«وداعاً جوليا» للسوداني محمد كردفاني، الذي يفتتح الدورة هذه. في المسابقة، التي يترأس خيري بشارة (مخرج مصري) لجنة تحكيمها (كما يُكرَّم في حفلة الافتتاح)، وأعضاؤها هم: مي عودة (منتجة ومخرجة فلسطينية) ومحمد البشير (ناقد سعودي) وسهير بن عمارة (ممثلة تونسية) ونهلة الفهد (منتجة إماراتية). الأفلام التالية: «المرهقون» لليمني عمرو جمال، و«وراء الجبل» للتونسي محمد بن عطية، و«إن شاء الله ولد» للأردني أمجد الرشيد، و«مندوب الليل» للسعودي علي الكلثمي، و«الأستاذ» للفلسطينية البريطانية فرح نابلسي، و«أنف وثلاث عيون» للمصري أمير رمسيس، و«ميسي بغداد» للعراقي عمر خليفة، و«كذب أبيض» للمغربية أسماء المدير، و«بنات ألفة» للتونسية كوثر بن هنية، و«تحت سماء دمشق» للسوريين هبة خالد وطلال ديركي وعلي وجيه، و«باي باي طبريا» للجزائرية الفرنسية لينا سويلم.

أما مسابقة الأفلام القصيرة، التي تتألّف لجنة تحكيمها من أشرف برهوم (ممثل فلسطيني) وفاطمة النوالي آزر (صحافية مغربية) وعلي كريم (مخرج عراقي)، فتضمّ: «عيسى» للمصري مراد مصطفى، و«براكاج» للتونسي بلال بالي، و«ترياق» للسعودي حسان سيد، و«رافقتكم السلامة» للسوري إبراهيم ملحم، و«قارئ البريد» للعراقي ذو الفقار المطيري، و«المقاتل» للإماراتية إيمان سيد، و«أنا يا بحر منك» للّبنانية فيروز سرحال، و«ربيع يوم عادي» للمصرية منة إكرام، و«بتتذكّري» للبنانية الفرنسية داليا نملش، و«عقبالك يا قلبي» للمصرية شيرين مجدي دياب، و«سليق» للسعودي أفنان باويان، و «ترانزيت» للعراقي باقر الربيعي، و«البحر الأحمر يبكي» للأردني فارس الرجوب، و«صبحية» للإماراتية أمل العقروبي.

في هذا الإطار، عبّر القبلاوي عن سروره في «تمكّن المهرجان، كعادته، من استقطاب أفضل إنتاجات السينما العربية وأحدثها، (متمثّلة بـ) أفلامٍ لم يشاهدها الجمهور السويدي عامّة، وجمهور مالمو ومقاطعة «سْكونة» خاصة»، متمنّياً أنْ تنال إعجاب جمهور المدينة «المتنوّع، الذي يعكس نسيجها». أضاف أنّ الاختيارات تمتاز، بمعظمها، بإنتاجات مشتركة بين دول عدّة، بينها السويد، من خلال «أيام صناعة السينما» في «مهرجان مالمو».

أشرف برهوم يترأس لجنة تحكيم الأفلام القصيرة في «مالمو 14» (منوّر حسين/Getty)

أفلام جديدة

■ «الفيلم عملٌ فدائي» لكمال الجعفري (الملف الصحافي): وثائقي يُكمِل المشروع السينمائي لمخرجه الفلسطيني (المُقيم في ألمانيا)، المرتكز على أرشيف (صُور فوتوغرافية، أشرطة مُصوَّرة) وقائع وذاكرة وتاريخ وحكايات. يروي الجعفري حكاية فلسطين، من دون تعليق ثابت أو موسيقى كثيرة، تاركاً للمونتاج براعة صُنع فيلم يقول بصُوره ما تعجز الكلمات عن قوله.

■ Road House لدوغ ليمان، تمثيل جايك غيلّينهيل ودانيلّا ملكيور (ويكيبيديا): يحاول دالتون (مقاتل سابق في الفنون القتالية) أنْ يهرب من ماضيه المظلم وميله إلى العنف. توظّفه فرانكي، مالكة محطة شاحنات، حارساً جديداً، لعلّه يمنع عصابة زعيم الجريمة ڤرانڈ من تدمير حانتها. مع ذلك، فالمخاطر تصبح أكثر وأعنف مع وصول نوكس، القاتل المأجور الذي لا يرحم.

■ Badland Hunters لبيون بونغ . سون، تمثيل ما دونغ . سِيوك وروه جيونغ . إيْوُي (ويكيبيديا): تتعرّض سيول لزلزال مدمِّر، يقضي على كلّ شيءٍ فيها، والناجون قلائل. تُصبح المدينة «منطقة مُعادية». يبدأ صيّاد مقدام رحلة إنقاذ مُراهِقة خطفها طبيبٌ مجنون. يتعيّن على الصيّاد لاحقاً مواجهة عصابة وتمساح.

«دورة استثنائية» لـ«مهرجان هيوستن للسينما الفلسطينية»

أعلن «مهرجان هيوستن للسينما الفلسطينية» عن دورته الـ17، التي تُقام بين 17 و19 مايو/أيار 2024، في مدينة هيوستن (تكساس)، معتبراً إياها «دورة استثنائية، تلمع فيها أنوار الشاشات»، وتعرض 12 فيلماً طويلاً وقصيراً، روائياً ووثائقياً: «(هذه الأفلام) تنقل قصص بلدٍ وشعب لا يزال يعيش تحت الاحتلال، في معاناةٍ تُبَثّ على الهواء مباشرة»، كما في بيان لإدارته، أضاف أنّ هذه المعاناة يعيشها حالياً «أهل غزّة في فلسطين المحتلة»، مُشيراً إلى أنّ الأفلام «تحكي قضايا العدالة وحقوق الشعب المحتلة أرضه والمنتهكة كرامته، في قوالب تُكثّف الألم في سرديّات مؤثّرة، مع بعض أمل». ونقل البيان عن منظّمي المهرجان تعبيرهم عن مواجهتهم تحدّيات في تنظيم الدورة الجديدة، في ظروفٍ شاهدةٍ على استمرار القتل والتشريد والتجويع، «منقولة لحظةً بلحظة على شاشات التلفزة ووسائل التواصل الاجتماعي». كما اعتبر هؤلاء أنّ الدورة الـ17 تكتسب أهمية «من إعادة الاعتبار إلى فنّ السينما بوصفه أداةً لنقل معاناة الإنسان، وصراعاته الداخلية والخارجية ضد آلات القهر، التي تقتل الأرواح، وتُفني الأجساد». تُقام العروض في «جامعة رايس» (هيوستن)، ويتابعها أميركيون وعرب، وسكّان ولاية تكساس والولايات الأخرى، «في أجواء لا تخلو من رموز التضامن البصري، الذي يرتئيه جمهور المهرجان»، والمهرجان نفسه يفرد مساحة واسعة للتواصل مع الشباب، متطوّعين ومشاهدين و«ناقلي رسائله». إلى ذلك، قال أحمد غنيم، رئيس المهرجان، إنّ هذه الدورة تمنح، للمرّة الأولى، حقّاً للجمهور لاختيار أفضل فيلم، «إذ لا صوت يعلو فوق صوت الناس في هذه المحنة، والمحكّمون سيكونون الناس، ووجدانهم المتفاعل مع الحدث لحظةً بلحظة». أضاف أنّ الحاصل في غزّة «عصيٌّ على اللغة بمختلف أشكالها، أكانت لغة الكلام، أو حتّى الفنّ. لذلك، ارتأينا، للمرّة الأولى، تنظيم دورة تخلو من شعار، ففلسطين اليوم الشعار، وغزّة قلب الشعار، وغزّة قلبت العالم كلّه». أشار غنيم أيضاً إلى موجات واسعة من التضامن، «عبّر عنها سينمائيون وفنانون من العالم، مؤكّدة مُجدّداً على روح السينما كوسيطٍ لنقل سرديات الأخلاق والخير والعدالة والجمال، وهذه كلّها نقيض لغة الإبادة».

أمّا عُلا الشيخ، المديرة الفنية للمهرجان، فقالت إنّ اختيار الأفلام «لم يكن سهلاً، خاصةً في ظرفٍ يغدو فيه التواصل مع السينمائيين، وبعضهم في الأرض المحتلة، مهمّة غير اعتيادية. إلاّ أنّي، وكما توقّعت، فوجئت بحجم الإقبال الهائل على التفاعل، لمجرّد وصول رسالتنا إلى صنّاع الأفلام، الذين عبّروا عن رغبتهم في تقديم الدعم بالحدود القصوى». أضافت أنّ إدارة المهرجان «تعد المتفرّج بدورة غير تقليدية، مع أفلامٍ نال بعضها جوائز دولية»، مشيرةً إلى أنّ الجائزة الأصلية «انتصار جوهرها للحقّ ومعاني الإرادة الإنسانية، في مواجهة العنف بكلّ أشكاله».

تُفتتح الدورة الـ17 بالوثائقي الطويل «باي باي طبريا» للينا سويلم، وبالروائي القصير «المفتاح» لراكان مياسي، وتُختَتم بالوثائقي «لدّ» لرامي يونس وسارة إيما، وبالقصير «برتقالة من يافا» لمحمد المغني. إلى ذلك، هناك «أفلام لمخرجين ومخرجات تركوا بصمتهم في السينما الفلسطينية: الروائي الطويل «الأستاذ»، في أمسية خاصة مع مخرجته فرح النابلسي (تمثيل صالح بكري ونبيل الراعي ومحمود بكري وآخرين): يروي الفيلم حكاية الأستاذ باسم وأحد تلامذته، وقصّة وجع تجمعهما في التشرّد والأسر وهدم البيوت. معاناة المرأة وتحدّياتها، في مواجهة قوانين مجحفة، تظهر في الفيلم الأردني «ان شاء الله ولد» لأمجد الرشيد. هناك أيضاً «بيت في القدس» لمؤيّد عليان، والوثائقي «الوعود الثلاث» ليوسف السروجي. أفلام قصيرة «مهمّة للغاية، تختصر حكايات مهمّة أيضاً في دقائق محدودة»: التحريك «حديقة الحيوان» لطارق الريماوي، والروائيان «حمزة: أطارد شبحاً يطاردني» لورد كيال و«مار ماما» لمجدي العمري.

أخيراً، ذكر بيان «مهرجان هيوستن للسينما الفلسطينية» أنّ هناك «سابقة» تشهدها الدورة الجديدة هذه، وتتمثّل بعرض وثائقي قصير بعنوان «محاولة نجاة» لبشار البلبيسي، الذي صُوِّر قبل مدّة قصيرة في غزة، والذي نقل فيه المخرج معاناة «فرقة الفنون الشعبية (الفرسان)»، التي ينتمي إليها، والتحدّيات التي يواجهها أفرادها في القصف الإسرائيلي.

أما المهرجان، الذي تأسّس عام 2007، فـ«يهدف إلى تعزيز دور السينما في نقل الرؤية الصادقة والمستقلّة لفلسطين ومجتمع الشتات، بتنوّع ثقافته ومتاعبه السياسية»، عبر أفلامٍ يُنجزها مخرجون ومخرجات «يسعون دائماً إلى الحقيقة». والمهرجان «منظّمة غير سياسية وغير دينية وغير ربحية، تتوجّه إلى سكّان مدينة هيوستن، البالغ عددهم 6 ملايين نسمة، لتعريفهم على الثقافة والهوية الفلسطينيتين من خلال الأفلام» (www.hpff.org).

نديم...